

فرمان من الباب العالي إلى الأمير قاسم، بتاريخ 3 أيلول 1840 (6 رجب 1256)

نتوجّه بهذا الأمر الإمبراطوري، الذي يجب أن يدخل موضع التنفيذ في كل البلاد البعيدة والقريبة، إلى أحد أهالي الأمير بشير، الذي هو اليوم أميراً على جبل الدروز؛ أي إلى الأمير الشهير والمجيد الأمير قاسم، أدام الله مجده! إضافة إلى شيوخ قبائل الدروز الأكثر تميّزاً من بين نبلاء البلاد، لتندم طاعتهم! ونأمر أن أيتّم أخذ العلم بالآتي فور وصول هذا الفرمان إليكم:

لقد كان من واجب الأمير بشير، بحسب الأوامر التي حصل عليها، بأن يبدي دوماً أنه رعية موالية، خاضعة لجلالتنا الإمبراطورية، سيده العظيم والفاعل للخير، وبالطاعة لأوامرنا، وبالجهد للقيام بما يتناسب ورغباتنا، والعمل الدؤوب من أجل حماية السكان والقبائل التي كنا قد أوكلناهم إليه، وباستخدام كل الوسائل وكل حكمته من أجل حماية وضمان حالتهم من كل ما يضايقهم. هذه كانت واجباته كونه أحد رعايانا.

لكن، قد وصلنا أن الأمير بشير لم يحترم أي من هذه الشروط الضرورية، وأنه مصرّ على أن ينحاز إلى مخططات محمد علي باشا ومستخدميه؛ وهو يتصرف بحسب ما يقوله له مستشارو محمد علي باشا، ولهذا فإن مساره ليس بما كنا نشتهي من قبله.

أنتم، الأمير، تتصرفون بولاء وبحكمة ممتازة تميّزكم، قد أظهرتم ولاءكم إزاء شخصنا الإمبراطوري، وهو ولاء لا يمكن إلا أن يكون موضع مكافأة: لقد برهنتم وطاعتكم، وأنتم تعلمون ما الذي يتوجّب عليكم بصفتم أحد رعايانا. أيضاً إن ابننا العالي لمتأكد، أنكم إن تمّ تسميتكم أميراً للدروز، فإنكم ستظهرون دلائل إضافية لخضوعكم لأوامرنا، ولولاكم وحماسكم تجاهنا وهذا من فطرتكم. لهذا فإننا نوجّه إليكم أمر خلع الأمير بشير عن الإمارة، وتسميتكم أميراً على القبائل الدرزية، وإن هذا الأمر الإمبراطوري لهو صادر عن قسليتنا الإمبراطورية.

وسرعان ما تتلقون هذا الفرمان، عليكم أن يحملوه، وتتشروه، لكي يعلم به كل من يجب أن يعلم له. ومن ثم تقومون بملء واجبات منصبكم الجديد، وذلك بالتصرف بما تقتضيه عليكم ولأنكم لنا، وتقومون بإدارة شؤون البلاد بحكمة وعدل وبطريقة متناسبة مع أماني ومصالح جلالتنا الإمبراطورية.

من بين واجباتكم، عليكم بحماية السكان والقبائل الدرزية، الذين تسهر عليهم سيادتنا من دون كلل؛ وأن يتم وضعهم تحت حمايتكم ضد كل معارضة لممارسة حقوقنا الشرعية على الأمة والإمبراطورية، وضد كل من هو على تناقض مع واجبات الخضوع والالتزام التي هي واجبة عليهم تجاه الباب العالي، ولمنعهم من أن يصبحوا محازبين لمحمد علي باشا وأتبعاه.

في النهاية، عليكم أن تضعوا عنايتكم الكاملة، وأن تعملوا ليلاً ونهاراً لتحقيق ما ينتظره من حكمتكم ووفائكم بابنا العالي، ولكي تستحقوا استمرارية عطفنا الذي أغدقناه عليكم.

وأنتم، مشايخ الدروز! عندما تعلمون أننا عينا الأمير بشير-القاسم أميراً على الدروز، فإنه يتوجب عليكم أن تتوحدوا معه قلبياً وروحياً وإرادياً، وأن تتصاعوا للفرمان هذا، وتحافظون على حقوقنا الشرعية.

ويجب أن لا نرى أي مسعى من قبلكم يتناقض مع إرادتنا السيدة، ولا تكون متعارضة مع سلطتنا في الولايات التي ورثناها.

وقد أعطي، إلخ.....